الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: القاهرة
التاريخ: ٢٠٠١/٦/٥

د. رفيق الصبان يكتب عنه بعد أن رآه فى العرض الخاص

أيام السادات فيلم بلا طعم

«أيام السادات» هو أكثر الأفلام المصرية التى ينتظرها الجمهور بصبر نافد.. والأسباب لذلك كثيرة ومفهومة، فالفيلم يدور حول شخصية سياسية ألقت بظلها الكبير على الحياة العامة فى مصر خلال خمس عشرة سنة أو يزيد، بل أكاد أقول إنه غير من مجرى التاريخ العربى كله، وإن ترك أثرا فى القلوب والعقول والنفوس، يتأرجح بين الحماس الشديد له لحد اعتباره المنقذ الأول لأزمة الشرق الأوسط أو كراهيته لحد الجنون واعتباره المسئول الأول عما حل بهذه المنطقة من مصائب وكوارث منذ حرب الـ ٧٣ وحتى اليوم، ثانيا فإن الفيلم يعيدنا إلى ممثل كبير مقل فى ظهوره .. شديد الذكاء فى اختيار أدواره .. كل فيلم له يعتبر علامة فارقة فى الإنتاج السينمائى الحديث .. ممثل طال اشتياق الجمهور له .. وهو هنا ينتظره فى مركب صعب يحتاج إلى مهارة خاصة وقدرة استثنائية لكى يقنع به ويحوز الاعجاب، وأخيرا فأيام السادات هو الفيلم الذى يعود به مخرج فنان له عالمه ودنياه وأسلوبه وبصماته الواضحة على الاتجاه السينمائى المصرى الحديث إلى الشاشة الكبيرة بعد غياب استمر ستة أعوام أويزيد. السادات وأحمد زكى ومحمد خان .. هم العناصر الجذابة الثلاثة التى ستجعل من فيلم «أيام السادات» حدث الصيف السينمائى بلا منازع .. دون النظر إلى أفلام الصيف الكوميدية .. التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، أيام السادات بالإضافة إلى عنصر التشويق الهام الذى يتمتع به .. يطرح أيضا وبصورة مباشرة قضية نقل حياة الفنانين والزعماء إلى الشاشة .. والتى أصبحت شيئا يشبه «الموضة» منذ نجاح فيلم محمد فاضل «ناصر ٥٦» وتأثيره الشعبى الكبير والالتفات والاهتمام الذى أحاط به.

«أيام السادات» يسبقه مسلسل «أم كلثوم» الذى حقق للشاشة الصغيرة نجاحا أسطوريا لم يكن يحلم به أحد من صناع المسلسل نفسه، وسبقه فيلم عن حياة عبدالناصر أراد أن يختصر مسيرة هذا الزعيم العربى الكبير فى ساعتين .. مما أضاع الكثير من أهميته .. وسبب انصراف الناس عنه .. كذلك فيلم عن حياة أم كلثوم أراد أن يرقص على السلم .. وأن يقول أشياء لم يقلها المسلسل .. فقضى على نفسه دون أن يدرى .. فلا هو قال ولا هو أخفى ..

وإنما خرج كالصورة الكاربون التى تعكس الحقيقة ولا تعكسها معا.

وها هى أيام السادات .. تطل علينا .. بحلوها ومرها .. فماذا أعطتنا وماذا أخذت منا؟.

محمد خان ومن قبله أحمد بهجت وأحمد زكى «المسئول عن المعالجة السينمائية كما جاء فى التترات .. وهو اصطلاح غامض لا ندرى بالضبط ما هو المقصود منه».. أرادوا أن يرووا حياة السادات من الألف إلى الياء .. طفولته فى الريف .. تعليمه بالكتاب .. انتماءه إلى الجيش .. علاقته مع الألمان وعوامة حكمت فهمى .. اشتراكه وبراءته من حادث مقتل أمين عثمان .. ابعاده عن الجيش .. عمله فى شتى الأعمال اليدوية التافهة كقطع الأحجار من الجبال .. أو حمل البضائع إلى العربات .. ثم تعرفه على جيهان التى تصغره بسنوات كثيرة وزواجه منها .. واشتراكه مع الضباط الأحرار .. ودوره الغامض فى ثورة يوليو .. وترقيته فى المناصب الإدارية .. ثم ثقة عبد الناصر به .. وتكليفه بمهام نائب الرئيس ثم موت عبد الناصر وتوليه زمام السلطة ومحاولة الانقلاب عليه .. وسيطرته على خصومه الذين أطلق عليه اسم «مراكزالقوى» وإيداعهم السجون .. موقفه من المخابرات والتنصت ودفاعه عن الحريات الفردية .. وحرق التسجيلات فى ميدان التحرير . تبنيه لسياسة الانفتاح الاقتصادى، طرده للخبراء الروس .. سياسة اللاسلم واللا حرب .. وثورة الشباب عليه .. ثم تهيئته حرب أكتوبر .. والانتصار فيها .. وتوجهه للسلام .. وزيارته لإسرائيل، ومعاهدة كامب ديفيد، وتشجيعه للعناصر الدينية ليضرب بها التيار الشيوعى .. وقبضه على مثقفى مصر وإيداعهم السجون لكى لا يعترضوا على سياسته مع إسرائيل الرامية إلى السلام .. وأخيرا مصرعه على المنصة.

كل هذا فى فيلم واحد .. وبشكل متسارع سطحى .. لا يجعل المتفرج يأخذ نفسه أو يحكم عقله لكى يحكم على كل هذه التصرفات التى تبلغ أحيانا حد التناقض .. وقد تفسر أحيانا أخرى .. بالخيانة العربية .. أو تفسر عند مجىء السادات ببعد النظر والسياسة الذكية، التى أعادت لمصر أرضها المغتصبة حتى لو كان ثمن ذلك .. انهيارالجسد العربى كله. أنا لست ضد رواية حياة السادات .. ولكن فى كل رواية تستحق المناقشة هناك وجهة نظر يجب أن تعرض، سواء وافقنا عليها أم لم نوافق، والمشكلة فى «أيام السادات» انه ليست هناك أية وجهة نظر وإنما مجرد رواية عادية دون عمق لأحداث نعرفها كلها ومواقف رويت لنا أكثر من مرة وشخصيات تتصرف حسب ما نعرف .. وحسب ما قرأنا عنها فى الصحف اليومية ..أو المذكرات.

لا شىء جديد على الإطلاق .. وحتى عندما يحاول الفيلم أن يظهر النواحى السلبية فى شخصية السادات كموقفه من أحد الطلاب الذى يناقشه .. أو حديثه عن الديمقراطية

وسخريته منها .. أو مواقفه السياسية التى جاءت كلها دون أى تبرير نفسى أو سياسى وبدت كأنها نوع من النزوات العابرة .. كل ذلك خلق مسافة حقيقية بين المتفرج .. وشخصية السادات كما يقدمها الفيلم.

وزاد الأمر ربكة .. أداء أحمد زكى .. الذى تأرجح بين التقليد الحرفى والحركى لكلام وحركات الرئيس الراحل .. ومحاولة اظهار التشابه الجسمانى «وهو يعود للماكيير أكثر مما يعود للممثل» أكثر من محاولة الغوص إلى أعماق الشخصية والتعبير عنها .. بل إن بعض المشاهد جاءت وكأن الممثل يهزأ من الشخصية التى يقوم بها .. ويحاول أن يقدمها بشكل «كاريكاتورى» عوضا عن أن يمس أعماقها ومشاعرها، حتى إن الناحية الإنسانية من حياة السادات .. أغفلت تماما .. علاقته العاطفية بجيهان الشابة وحبها له، وموقفه من زوجته الأولى وبناته منها، والتى أغفلها الفيلم تماما، إلا فى مشهد واحد حاول الفيلم أن يرمز فيه بوضوح إلى انقطاع أية علاقة بين السادات وزوجته الأولى .. التى اختفت تماما بعد ذلك من الأحداث .. وحتى فى الجزء الثانى من حياة السادات وبعد أن أصبح رئيسا .. نجد أن دور زوجته الجديدة قد تقلص لتكون مجرد «شاهدة» تتفرج دون أن تتدخل فى شىء.

لم يمس الفيلم أى مشاعر إنسانية لدى السادات .. إلا فى مشهد واحد يتيم عندما يستشهد شقيقه الصغيرفى حرب أكتوبر.

ومر الفيلم مرور الكرام على ثورة يوليو، وآثارها ودور السادات فيها .. كما مر قبل ذلك على حرب ٤٨ .. ومر على آثار كامب ديفيد ومقاطعة الدول العربية لمصر التى استمرت أعواما طويلة وغيرت من اقدار المنطقة كلها .. وفتحت الباب على صراعات جانبية كثيرة.

وحتى حادثه الاغتيال التى يفترض أن تكون مشهدا رئيسيا بالفيلم .. عرضها الفيلم عرضا عابرا بعيدا عن أى تأثير.

مشكلة «أيام السادات» أنه فيلم بلا لون ولا رائحة، لا يعبر عن موقف ولا يقدم رأيا فى شخصية هامة غيرت مجرى تاريخ مصر. إنه فى هدوئه واختياره البعد عن العواصف وردود الأفعال .. جعل المتفرج فى حيرة تجاهه .. فتارة يرى فى الفيلم هجوما لاذعا وسخرية حتى من صانع الحرب والسلام .. وتارة يرى فيه رواية لأحداث تاريخية حفظها عن ظهر قلب.

وزاد من هذا الإحساس أداء الممثل الأول الذى ركز على الأداء الخارجى للشخصية مهملا تماما الأحاسيس الداخلية .. والعواصف التى تجتاح القلب والضمير .. والتى كانت حياة السادات مليئة بها، وهذا لعمرى أمر يثير العجب والاستغراب من ممثل عملاق تخصص فى سبر غور الشخصيات التى يؤديها والتغلغل فى أعماقها حتى النخاع.

«أيام السادات» صفحة من جريدة يومية تستعرض حياة الزعيم ومواقفه .. وتركز حسب هواها .. على مواقف .. وتتناسى متعمدة مواقف أخرى.

ترى .. هل سيتعرف الجيل: الذى لم يعرف السادات ولم يعش حكمه وأيامه .. على هذا الرجل صاحب المرايا المتعددة ... وأكثر الزعماء إثارة للجدل والتناقض من خلال هذا الفيلم .. إن علينا أن ننتظر فيلما أخر عنه ورأيا أكثر وضوحا وأكثر صراحة واشد جرأة.